

الفلسفة ومقارنة الأديان

حولية الجامعة الإسلامية العالمية - ٣

النفعية وموقف الإسلام منها

د. محفوظ عزام*

توطئة:

كثر ويكثر الحديث هذه الأيام عن المنفعة والفائدة والمصلحة ومصلحتي ومصلحتك ومنفعتي ومنفعتك وفائدتي وفائدتك وعالم المنافع والمصالح والواقع والواقعية وتبادل المنافع...إلخ.

يحدث كل ذلك دون نظر حقيقي ودون تبصر فيما نقول، بل إن ذلك إنما يحدث مجاراة لفلسفة العصر السائدة، والمناخ السائد، وهو مناخ مادي لا يهتدي بأنوار الوحي الإلهي ولا يسير على منهاج الشريعة، بل وفق العقل، والعقل الغربي بالذات؛ ذلك العقل الذي افتقد الهداية وظن أنه قادر على السير بالإنسان ليصل به إلى شاطئ الأمان شاطئ الرفاهية والسعادة والراحة والطمأنينة، وهيهات أن يسعد الإنسان بدون هداية السماء له، أو أن يصل إلى بر الطمأنينة وراحة البال وقد تمرد على الوحي والرسالة!!

إن الإنسان يتحدث عن المصلحة والمنفعة تطبيقا لآخر الفلسفات الغربية نشأة، ألا وهي "البراجماتية" أو المذهب النفعي الذي نشأ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها تسرّب إلى بقية العالم الغربي، ويحاولون تطبيقه في العالم الإسلامي بكل الوسائل وبشتى الطرق.

الأمر الذي يجعل الإنسان يتساءل: وأين الإسلام؟ أبين الإسلام والمنفعة سد منيع؟ كلا والله، فالإسلام لم يجئ إلا لنفع الإنسان ومصلحته، ولكنها نفعية سامية، نفعية لكل الناس وفائدة لكل إنسان، نفعية لا تشوبها الأنانية، وفائدة الوسيلة

---

* الأستاذ المشارك ورئيس قسم العقيدة ومقارنة الأديان بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد.

والغاية فيها نظيفتان شريفتان، أما النفعية الغربية فهي نفعية أنانية تجعل من الإنسان ذئبا ضاريا يقول: أنا وبعدي الطوفان وفائدة الوسيلة والغاية فيها قد تكونان في كثير من الأحوال غير نظيفتين وغير شريفتين، فشتان ما بين النفعية في الإسلام والنفعية الغربية.

من أجل هذا كان هذا البحث الذي يشتمل على لمحة تاريخية لتطور المذاهب الغربية وبيان للمذهب النفعي وأسس الأخلاق فيه وموقفه من الدين، وموقف الإسلام والمفكرين المسلمين من النفعية ومن المبدأ القائل بأن الغاية تبرر والوسيلة، وذلك بإبراز حرص الإسلام على منفعة الناس وفائدتهم وكذلك حرصه على شرف الوسيلة والغاية. كل ذلك من خلال روح نقدية أرجو أن أكون قد وفقت فيها.

١. لمحة تاريخية:

لقد مرت المذاهب الفكرية الغربية بتطورات مختلفة وتقلبات عديدة، نظرا لتعاقب المفكرين والفلاسفة، ابتداء من اليونان وانتهاء بالفلسفة الأمريكية الحديثة والمعاصرة والتي تتمثل في المذهب البراجماتي أو النفعي أو العملي، ونحن هنا لن نستعرض المذاهب الفلسفية والفكرية منذ بدايتها عند اليونان؛ كما أننا لا نستطيع - في هذه العجالة - أن نعرض بالتفصيل لكل المذاهب الفلسفية التي تقلب عليها الغربيون في فلسفتهم، وإنما سنكتفي بعرض سريع لأبرز الاتجاهات الفكرية والفلسفية منذ العصور الوسطى والتي انتهت ببداية عصر النهضة تقريبا أو انتهت بالفعل ببداية العصر الحديث.

ففي العصور الوسطى كانت السيادة والسيطرة للدين المتمثل في الكنيسة والبابا؛ حيث سيطرت على الاقتصاد والسياسة والعلم والفكر، وأنشأت المحاكم للحكم بالحرق أو الإعدام أو السجن للمخالفين لها. وأصبحت بمثابة الدولة وفرضت على الناس خضوعا مذلا لرجال الدين، واحتكرت الوساطة بين الناس وبين الله في مفهومها... وقصرت حق تفسير وفهم نصوص الكتاب المقدس لديهم على البابا وأعضاء مجلسه، وحظرت على أي شخص آخر خارج جهاز الكهنوت محاولة تفسيره أو مناقشته، وجعلت الاعتراف بالخطأ وصكوك الغفران من مراسم

العبادة، فلا يملك إنسان أن يتصل بالله إلا عن طريق الكاهن، ولا تقبل توبته إلا إذا جلس أمامه على كرسي الاعتراف، وتحول الدين إلى مجموعة من الأسرار والرموز التي لا يفهمها إلا رجال الدين، وعلى الناس أن يخضعوا لهم خضوعا أعمى... ورجال الدين يقومون عنهم بكل شيء ما داموا يدفعون للكنيسة الأموال والرشاوى.

ولقد عبر أحد البابوات عن هذا النفوذ الذي كان يتمتع به البابا والكنيسة فقال: "إن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمد هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ، وأن البابا له مركز قوي في العالم، فهو الذي يولى الأساقفة، ويخلعهم، ولهم الحق في خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل"[١] وهم يسألون.

ثم استمر أمر الكنيسة على هذا النحو حتى بدايات العصر الحديث، أي أنه حتى هذا العصر كان الدين المسيحي فوق العقل وله كل القداسة؛ وعلى الرغم من أن حركة الإصلاح التي قام بها "لوثر" غيّرت كثيرا من المفاهيم والاتجاهات إلا أنها كانت تجعل الكتاب المقدس مصدر الحقيقة وصاحب الكلمة الأخيرة فيما يتصل بقضية الإيمان.

وإذا كانت العصور الوسطى هي عصر سيادة الدين فإنه بمجئ النصف الثاني من القرن الثامن عشر يأتي ما يسمى بعصر التنوير في تاريخ الفلسفة الغربية؛ وكان الطابع الفكري المميز لهذا العصر هو سيادة العقل كمصدر للمعرفة دون غيره... والمراد بهذا الغير الذي ينازعه السيادة في ذلك الوقت هو الدين المسيحي. فعصر التنوير يقصد به العصر الذي انطلقت فيه الدعوة إلى إبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله، أو إخضاع الدين للعقل وإعطائه الحق في نقد الدين في أخص خصائصه، وبذلك أصبح العقل مركز السيادة وأخذ لنفسه الصلاحية التي كانت للكنيسة من قبل، وهي توجيه النوع الإنساني أفرادا أو جماعات. وكان من فلاسفة هذا الاتجاه "ولف" و"لسنج" و"فيشته" في ألمانيا، و"فولتير" و"ديدرو" و"دولباخ" في فرنسا. وقد حصروا الوجود في "المادة" أو "المادة والطاقة" فحسب.

وبانتهاء القرن الثامن عشر انتهى تقريبا عصر التنوير، وابتدأ عصر آخر من

---

١ ـ محمد رفعت، محمد حسونه: معالم تاريخ العصور الوسطى، ص ١٣٧.

عصور الفكر الأوروبي أو الغربي تميز بسيادة الفكر المادي وظهر ذلك مع بداية القرن التاسع عشر فيما يعرف بعصر الوضعية أو سيادة المذهب الحسي والاتجاه المادي، حيث أخذت فلسفة هذا القرن تتجه نحو سيادة الطبيعة على الدين والعقل معا، وإلى اعتبار الواقع مصدر المعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل.. وما الدين والوحي في نظر هذا الاتجاه إلا وهم أو خداع، وما العقل إلا وليد الطبيعة التي تتمثل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية...إلخ... ومن هذا المنطلق كانت وضعية كونت وجدلية هيجيل وتطورية دارون وماركسية كارل وبراجماتية برس، وغير ذلك من المذاهب.

وهذه المذاهب وإن كانت تختلف في بعض خصائصها وسماتها إلا أنها تنطلق من مبدأ واحد، وتعتمد أساسا فكريا مشتركا هو حصر نطاق الوجود، وبالتالي إذا صرفنا النظر عن المذهب العقلي، حصر نطاق المعرفة في المادة وحدها، أما ما وراء ذلك من إله أو روحانيات أو أمور غيبية، كالجنة والنار والملائكة فإن الفلسفة المادية إما أن تنكر وجوده أصلا، وإما أن ترى إغفاله أو إهماله كأن لم يكن... حتى الاتجاه العلماني الذي قام أساسا على فصل الدين عن الحياة يعتمد ما يقوم على العلم التجريبي فقط دون ما عداه.

ومن هنا شن أصحاب هذه المذاهب حملة عارمة ضد الدين أو الإيمان بصفة عامة بحجة أنه لا يخضع للبحث التجريبي، ومن ثم فهو غير علمي.

ب. المذهب النفعي وأسسه:

لقد وصلت رحلة الفلسفة الغربية في طريقها إلى ما يسمى بالمذهب النفعي أو البراجماتية "Pragmastism"، وبهذا المذهب تكون الفلسفة الغربية قد أسلمت زمامها إلى الفكر الأمريكي الذي نشأ فيه هذا المذهب ثم انتقل بعد ذلك إلى بقية العالم الغربي ثم بقية أنحاء العالم حتى العالم الإسلامي.

والبراجماتية هي أعظم الفلسفات تأثيراً في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حيث مثلت الحركة الفلسفية المتطورة التي تحدت جميع التيارات الفلسفية السائدة والتي تميزت بها الحياة الأمريكية، والتي وقفت

في مواجهة الفلسفة المثالية، وحاولت إيجاد اتجاه جديد ينحو إلى نتائج إيجابية عملية. وبهذا الاعتبار مثلت البراجماتية أكبر إسهامات أمريكا في عالم الفلسفة؛ بحيث أصبحت حركة فكرية مهمة لها أبعادها المختلفة والمتعددة في تحديد الوجهة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية بشكل عام.[٢]

وكان ظهور هذه الحركة - على ما يراه الباحثون - نتيجة لحوار ومناقشات وتأثيرات متبادلة دارت داخل النادي الذي كان يعرف باسم: "النادي الميتافيزيقي "Metaphysical Club" والذي أسسه كل من: "تشارلس ساندرس بيرس[٣] "Charles Sanders peirs" و"وليم جيمس[٤] "William James" بالاشتراك مع عدد من زملائهما الآخرين، وكان ذلك حوالي عام ١٨٧٠ في مدينة كمبردج. ففي هذا النادي طرحت البارجماتية لأول مرة بعد المداخلات وتبادل الآراء بين الأعضاء حول ورقة قدمها "بيرس" كمادة للنقاش.[٥]

على أنه من الجدير بالذكر القول بأن هذا الحوار لم ينشأ من فراغ وإنما كان هناك عوامل مهة هيأت له ومهدت لظهور البراجماتية في ذلك الوقت في الفلسفة الأمريكية؛ هذه العوامل هي:

١ - مكانة العلم والمنهج العلمي اللذين سادا في القرن التاسع عشر.

٢ - قوة النزعة التجريبية وسيادتها في هذا القرن أيضا.

---

٢ - H.S. Thayer: "pragmatism" in the Encyclopaedia of philosphy. New York, 1972, Vol. 6, pp. 430 - 1.

٣ - هو ابن رياضي من أشهر علماء الرياضة الأمريكيين. ولد في عام ١٨٣٩ وتوفي في عام ١٩١٤. وكان من أكفا علماء الرياضيات مثل أبيه. وهو أحد مؤسسي منطق العلاقات الرمزي الحديث. ولم يكن "بيرس" كاتبا منهجيا على الإطلاق، ولم يقم بشرح آرائه في مذهب موحد. أنظر: جون ديوي: مقال: "نمو البراجماتية الأمريكية" ضمن كتاب فلسفة القرن العشرين، ترجمة عثمان نويه ص ٢٣٢.

٤ - ولد في ١١ يناير ١٨٤٢ وتوفي ١٩١٠. تعلم الطب بمعهد هارفارد الطبي، غير أنه تغيرت همه بعد ذلك واشتغل بالدراسات السيكولوجية والفلسفية وأصبح فليسوفا كبيرا، وعد المؤسس الحقيقي للبراجماتية. أنظر:
The New Encyclopaedia Britanica, Chicaga, 1982, p.p. 27 - 9.

٥ - The Encyclopaedia Britanica Vol. 15 p. 941.

٣ - وجود وقبول نظرية التطور الحيوي التي جاء بها "دارون".

٤ - قبول الديمقراطية الأمريكية.[٦]

ولا يكاد يوجد خلاف في أن أصل البراجماتية إنما يرجع إلى تشارلس ساندرس بيرس حوالي ١٨٧٠م. فبيرس هو أول من وضع أسس المذهب متأثرا بالعوامل السابقة بالإضافة إلى تأثره أيضا بالفليسوف الألماني "كانت"، حيث يذكر لنا "جون ديوي - John Dewey"[٧] أن "بيرس" عرف كلمة "براجماتية" من دراسته لكانت، وهذا - في رأي ديوي - دليل على أن البرجماتية ليست نظرية أمريكية خالصة، خلافا للرأي السائد في ذلك.[٨]

وقد بدأ "بيرس" مذهبه ببحث جعل عنوانه: "How to make our ideas clear" كيف نجعل أفكارنا واضحة، وكان ذلك في عام ١٨٧٨م. وفي هذا البحث ركز "بيرس" على وجود علاقة لا تنفصم عراها بين الإدراك العقلي والهدف المعقول. فالمدلول العقلي لكلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات في نظر بيرس إنما يكون فقط في تأثيرها المقصود في مجرى الحياة. لذلك فإن الشيء إذا لم يكن ناجحا في التجربة فلا يمكن أن يكون له أي تأثير مباشر على السلوك. وهكذا تبدو براجماتية بيرس على أنها تعني بالدرجة الأولى نظرية المعنى. إن أي مدرك عقلي، وفقا لمفهوم بيرس، يتضمن علاقة جوهرية خاصة بالعمل والسلوك والبشرى، بحيث إن معنى هذا المدرك العقلي يمكن فهمه فقط عندما يتم تطبيقه في الوجود الفعلي عن طريق العمل فتعديل الوجود نتيجة لهذا التطبيق هو المعنى الصادق للمدركات العقلية[٩] بمعنى أن صدق هذه المدركات العقلية لا يمكن تحقيقه نظريا، بل لابد من اختبارها بالتجربة التي تثبت عمليا مدى نجاحها أو مبلغ إخفاقها.

فالنتائج العملية لفكرة من الأفكار هي مقياس صدقها وصوابها. فمعنى الفكرة إنما يتحدد بآثارها العملية في تجربتنا اليومية. والفكرة عند "بيرس" هي مجال

---

٦ - Charles Morris: The Pragmatic Movement in American philosophy p.5.

٧ - ولد عام ١٨٥٩م وتوفي عام ١٩٥٢م.

٨ - جون ديوي: مقال: "نمو البراجماتية الأمريكية" ضمن كتاب فلسفة القرن العشرين ترجمة عثمان نويه، القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٣٢.

٩ - Charles Morris: op. cit, p. 21.

الفعل أو هي مشروع للعمل (Plan of action) هذا هو الأساس الذي بنى عليه من جاءوا بعده ليوضحوا لنا كيف أن طريق المعرفة إنما هو السلوك والفعل وليس العقل.

ثم قام "وليم جيمس" بتهذيب هذا المذهب وإعادة صياغته تكوينه وتوسيع نطاقه في عام ١٨٩٨م. ليشمل الاعتقادات الدينية؛ وبدأ ذلك بمقال له جعل عنوانه:

Philosophical concepts and Practical Results حيث أوضح جيمس أن البراجماتي لا يعنيه كيف تأتي الأفكار والمعتقدات، غير أنه يهمه أن يسأل عن صحة هذه الأفكار وصدق هذه المعتقدات، ومقياس صحة الفكرة هو مدى حاجتنا العملية لها، كما يظهر صدق المعتقد فيما يترتب عليه من آثار ونتائج عملية. فالمهم هو نتيجة الفكرة لا مصدرها، لأن الحق مرتبط بالسلوك، وهو صورة من صور الفعل أو العمل الناجح. ومن ثم فالصدق أو الحقيقة ليس غاية وإنما هو وسيلة لتحقيق أغراضنا، ونحن الذين نصف الفكرة أو المعتقد بالصدق بناء على نفعها لنا، فتكون صادقة لأنها مفيدة، ومفيدة لأنها صادقة، فالحقيقة ليست إلا حدثا يقبل على الفكرة وليست أمرا باطنا فيها.(١٠)

يقول "جيمس": "إن الشيء يعد صحيحا وصوابا إذا كان مفيدا في الحياة ومفضيا إلى النتائج المرضية في التطبيق. وإذا كان الإيمان بالله مفيدا في الحياة فللمرء أن يعتقد بأنه صواب".(١١)

بهذا المفهوم وسع "جيمس" من مجال تطبيق براجماتية "بيرس" حتى شمل الاعتقادات الدينية. وعلى الرغم من أن نظرة "جيمس" للدين كانت نظرة اجتماعية بحتة، بمعنى أن الدين - أي دين - إنما هو رد فعل الإنسان الكلي تجاه الحياة، فإنه يرى أن الاعتقادات "هي في الواقع قواعد للعمل، وأن الوظيفة الكلية للتفكير إنما

---

١٠ - وليم جيمس: البراجماتية، ترجمة محمد العريان ص ٥٧ - ٥٨، ٩٦، ١٨٥.

١١ - Clemens Schoonbrood: "Pragmatism" in Encyclopaedia of thealogy, London, 1977, p. 1266.

هي خطوة في تكوين عادات السلوك، وأن كل فكرة لكونها لأنفسنا عن شيء من الأشياء إنما هي في الواقع فكرة عن الآثار الممكنة لهذا الشيء.[١٢]

وإذا كان الصدق - عند جيمس" يرتبط بالمنفعة أو الفائدة فإن الفائدة هي أعلى مراحل الصدق.[١٣] وميدان النافع والمفيد عند جيمس واسع: فالمفيد في ميدان التجربة الفيزيائية هو ما يمكن من التنبؤ ومن العمل ومن التأثير والإنتاج، والمفيد في باب التجربة العقلية ما هو مفيد للفكر، ويزودنا بالشعور بالمعقولية. والمفيد في التجربة الدينية ما يحقق للناس الراحة والطمأنينة ويعين على تحمل تجارب الحياة ويسمو بنا فوق أنفسنا.[١٤]

ويهاجم جيمس الصورة الذهنية عن الأشياء، ويرى أنها مهما بلغت من الوضوح فلن تعدو الأشياء ذاتها، فالنار العقلية لا يمكن أن توقد خشبا، ذلك لأن التجربة الواقعية شيء مختلف عن التجربة العقلية، ويترتب على هذا أن الروابط بين الأشياء ليست من صنع العقل، بل هي قائمة في الأشياء نفسها، مصدرها التجربة العملية بنوع خاص.[١٥]

أما "جون ديوي" فهو الذي قام بتطوير البراجماتية والدفاع عنها. وقد رأي "ديوي" أن لفظ "براجماتي" لا يعنى إلا قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الاعتبارات التأملية إلى النتائج العملية المختبرة تجريبيا.[١٦] كما أنه يرى أن يقوم بالتفكير ليتواءم به مع بيئته حلا لمشكلاتها، فلا تفكير لذات التفكير، وإنما التفكير يوجد بوجود المشكلة والمشكلة والهدف من وراء حلهاهما اللذان يحددان طبيعة التفكير. والعقل الإنساني - عند ديوي - جزء لا يتجزأ من الطبيعة، ومن ثم تحدث المعرفة داخل الطبيعة بوصفها نشاطا من الأنشطة التي تحدث في هذا العالم. وهو يرى أن الأفكار أدوات أو وسائل نحقق بها بعض النتائج المرغوب فيها، وهي تساعدنا

---

١٢ - William James: The varieties of Riligious Experience, 1984, p. 35.

١٣ - د: محمود زيدان: "وليم جيمس ص ٦٢، ٦٣.

١٤ - د: عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة ص ١٤٤.

١٥ - د: يحيى هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة ص ١٥٨.

١٦ - قاموس جون ديوي للتربية ص ٤٥.

على أن نعلم شيئا أفضل في حياتنا لنتكيف مع البيئة المحيطة بنا. ومن ثم فالمعرفة ليست شيئا منفصلا بل هي شيء تنطوي عليه عملية صيانة الحياة وتطورها[١٧] وهو ينظر إلى الحواس على أنها مثير وحافز يدفع إلى العمل والنشاط وليست مصدرا للمعرفة.

ومن الجدير بالذكر القول بأن مصطلح "البراجماتية" مصطلح غامض على الرغم أنه من المفروض أن تكون البراجماتية قد اتضحت صورتها كاملة في ورقة "بيرس" التي قدمها عام ١٨٧٨م إلا أن البراجماتيين ما يزالون يعانون المشكلات في أمر توضيح المصطلح "البراجماتية".[١٨]

ولهذا نجد أن هناك اختلافا بينا بين "بيرس" و"جيمس"، وبإمكان أي إنسان - كما يقول "تشارلس موريس" أن يصفهما وكأنهما ليسا داخل الحركة الفلسفية الواحدة. ويقول "بيري": "ربما يكون صحيحا وعدلا لكل واحد أن يقول إن الحركة الفلسفية المعروفة بالبراجماتية كانت في حقيقة أمرها نتيجة سوء فهم جيمس لأطروحة بيرس.[١٩] ويؤكد هذا موقف "بيرس" نفسه من التفسير الذي قدمه جيمس وأتباعه حيث وصفه بأنه "ليس دقيقا"، الأمر الذي أدى به إلى إعلان فكرته وأطروحته من جديد باسم "البراجماتيكية - Pragmaticism بدلا من البراجماتية "Pragmatism" غير أن "جيمس" قد عد "بيرس" مبدعا لهذا المذهب.

على أية حال، يتلخص المضمون الفكري للمذهب في أنه يقيس القضية بنتائجها العملية. فالفكرة تقاس بنتائجها التي تؤدي إليها، وتلك النتائج هي برهان صحة الفكرة؛ فإذا كانت الفكرة وسيلة والعمل نتيجة أو غاية فإن الغاية تبرر الوسيلة، ولذلك يطلق على المذهب: "النفعية أو الذرائع والوسائل. وكان "جون ديوي" يفضل التسمية الأخيرة. ولما كان تقدم العلم يغيّر كثيرا من القضايا فإن الصالح في ظروف سابقة قد يصبح غير صالح في الظروف الحالية. ويأخذ المذهب

---

١٧ - د: أبو اليزيد العجمي: نظرات في المعرفة الإنسانية ص ٨٨، ٨٩.

١٨ - H.S.Thayer: op. cit, p. 431.

١٩ - Charles Morris: op. cit, pp. 27 - 8.

من ذلك أنه لا ثبات لشيء من القيم والأخلاق في دنيا الناس. والحق هو سبيل ناجح في الوصول بالإنسان إلى غرضه، وهو أمر نسبي يقاس بزمانه ومكانه، ومعيار الحقيقة هو نجاح الفكرة.

فهنا أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أن برنامج المذهب يربط الفكرة بنتائجها العملية أكثر مما يربطها بمعيارها القيمي والتفقه العلمي لمضمونها؛ أي أنه يعدل عن الأفكار المجردة والمعاني النظرية، ويحصر هذه الأفكار والمعاني في آثارها العملية. فالفكرة هي خطة للعمل والنشاط وليست حقيقة في ذاتها. فعندي مثلا فكرة عن نفير السيارة التي تسير في الشارع. فلا معنى لأن أبحث في حقيقة هذه الفكرة: أصلها ومنشؤها، وهل هي حقيقة أم من خلق العقل؟ وهل هي من عمل الأذن والجهاز العصبي أم من عمل النفير أو السيارة أو غيرهما؟ وإنما يجب أن يكون معناها الانحراف يمينا أو يساراً وإفساح الطريق للسيارة وراكبها، أي أن أشرع في تغيير خطة سيرى والتوجه إلى جهة غير التي كنت أسير فيها. ومن هنا تزعم البراجماتية أن الفكرة مشروع للعمل أو خطة للتأثير في البيئة، وهي خطوة في سبيل العمل لها ما بعدها.[٢٠]

الأمر الثاني: أن صواب الفكرة لا يتوقف على الضرورات المنطقية لها أو على قيمتها الذاتية ومضمونها الواعي، وإنما يتوقف على صلاحية هذه الفكرة في حياتنا الراهنة ومدى ما تحققه من نفع مادي في تصرفاتنا اليومية. في اختباراتنا وتجاربنا؛ فإذا كانت هذه الفكرة تؤدي إلى نتائج مرضية ومنافع عملية في الحياة فهي صحيحة وصائبة وإلا فلا.[٢١]

الأمر الثالث: أنه لما كانت الفكرة تقاس بنتائجها وكانت النتائج محصورة في المنفعة فإن المنفعة الظاهرة بذلك تصبح وحدها المحكمة، لا في قبول الأشياء أو

---

٢٠ - د: يعقوب فام: البرجماتزم أو فلسفة الذرائع ص ٢٥٨.

٢١ - المرجع نفسه.

رفضها فقط، بل أيضا في تصور وجودها أو عدمها.

والحق أنه قد لا تبدو خطورة المذهب من خلال تأمل الأمر الأول، وإن كانت تولد نوعا من السطحية وعدم العمق في الأمور. إلا أن الخطورة تكمن عندما نتابع هذه الفلسفة في نتائجها البعيدة فنجد من خلال تأملنا للأمر الثاني أنها تؤدي في النهاية إلى جحد الألوهية، وإن كان هذا ما صرح به فلاسفة البراجماتية؛ لأننا حين نسير مع فلسفة هذا الأمر إلى النهاية فسوف نجد أن قيمة الفكرة فيما تولده من منافع ظاهرة في الحياة المادية والواقع، فعندئذ تنبذ الفكرة ذاتها لأنها لا تدير آلة ولا تحرك جهازا.[٢٢]

ومن ثم يكون الكفران والضلال؛ فإذا تابعنا النظر إلى الأمر الثالث وجدنا أن النفع المادي العاجل هو وحده المسيطر على اتجاه فلسفة هذا المذهب، أي أن أي فكرة أو عمل عند البراجماتيين إنما يقاس صلاحه وفساده وخيره وشره بما يحقق من نفع مادي عاجل؛ وسيطرة مثل هذه النزعة على سلوك الناس في الحياة يحولهم إلى ذئاب ذوي أظفار وأنياب لا يتعاملون إلا بالمادة، ولا يتواصلون إلا حيث يكون النفع. ويوم تكون المنفعة غاية لكل حركة وهدفا لكل علاقة فما أشقى الحياة يومئذ؛ لأن تلك مرحلة تفقد فيها البشرية كل مقوماتها الكريمة وعناصرها الإنسانية، ويستوى فيها الإنسان بالآلات وتغيب جميع مبادئ البر والعطف والرحمة والمواساة وسائر الأمور المعنوية التي تهذب الحياة وترطب جفافها، ويخلو كيان الإنسان من العواطف والمشاعر الإنسانية من حب وود وغير ذلك من العواطف والمشاعر النبيلة.

ج. الأخلاق في المذهب النفعي:

تنظر البراجماتية إلى الأخلاق نظرة مادية بحتة؛ فالأخلاق والقواعد التي تضطبها من صنع الناس وحدهم وهي تجريبية متطورة من آن لآخر على مر الزمن، ولا ثبات لها ولا يقين على الإطلاق، وهي تتغير كلما تغيرت متطلبات الجماعات

---

٢٢ ـ المرجع السابق.

الإنسانية ورغباتها، والقانون الأخلاقي الحق هو ما يعتقده الرأي العام، ولذلك فإن معيار الصواب والصدق بالنسبة للأخلاق وقواعدها هو الرأى العام؛ ولذلك فهي قابلة للتغيير كلما تغير الرأي العام.

يقول وليم جيمس: "إن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعية في أنه لا يمكن استنباطه كله مرة واحدة من مبادئ ذهنية، بل لابد أن يخضع للزمن، وأن يكون مستعدا لأن يغيّر نتائجه من آن لآخر.. والآراء الذائعة حق وأن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام".(٢٣)

وبناء على هذا يمكن أن ينتشر الفساد وتعم الرذيلة، ويعد ذلك ضمن الأخلاق، ما دام يعتقده الرأي العام.

ويقول جون ديوي: "كل الأحكام الأخلاقية تجريبية، ومن ثم فهي خاضعة للمراجعة".(٢٤) فما يثبت اليوم يتغير غدا، وما يتغير غدا يثبت بعد غد... وهكذا لا يكون هناك ثبات لأي قيمة من القيم. ومعروف من بديهيات الإسلام فساد هذه النظرية، فالفضائل ثابتة، والأخلاق لا تتغير؛ فالصدق فضيلة في كل زمان ومكان، والكذب رذيلة في كل عصر وآن؛ ومعيار الأخلاق عندنا هو الشرع المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ والإسلام يكره التلون والتغير ويحب الثبات على الفضيلة والمبدأ وإن تغير الناس من حول الإنسان، وفي الحديث الشريف "لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا سيئاتهم"، "لا تكونوا إمعة تقولوا إن أحسن الناس أحسنا وإن أساءوا أسأنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا وإن أساءوا ألا تظلموا".(٢٥)

ء ـ موقف المذهب النفعي من الدين:

تقف المذاهب الغربية ـ بصفة عامة ـ موقفا سيئا تجاه الميتافيزيقا بل يتفق

---

٢٣ ـ وليم جيمس: إرادة الاعتقاد. ترجمة د: محمود حب الله ص ١٠١.

٢٤ ـ قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العريان ص ٢٨.

٢٥ ـ رواه الترمذي عن أبي حذيفة أنظر الفتح الكبير جـ ٣ ص ٣٣٩.

التجريبيون والوضعيون والماركسيون والوجوديون والبراجماتيون على إنكار "الميتافيزيقا"، وإن كان البرجماتيون قد قبلوا منها ما يحل مشكلة الإنسان بعد اختبارها وفق مقياسهم العملي.[٢٦]

بل إن واحدا مثل "وليم جيمس" يرى أن الفيلسوف الميتافيزيقي يشبه الأعمى الذي يبحث في حجرة مظلمة عن قطة سوداء لا وجود لها.[٢٧]

وقد رأينا من قبل أن جيمس يجعل العقيدة أو الإيمان رد فعل للواقع والتجربة، الأمر الذي يوضح لنا موقف البراجماتيين من الدين ويكفينا هنا لكي نعرف موقف البراجماتيين من الدين أن نذكر البيان الذي صدر في أمريكا سنة ١٩٣٣ ووقعه "جون ديوي" وآخرون، ومنه يتضح لنا فكرة البراجماتيين عن الأديان المنزلة، ومن النقاط المذكورة في هذا البيان ما يلي:

١ ـ الكون موجود بذاته وليس مخلوقاً.

٢ ـ الإنسان جزء من الطبيعة وهو نتيجة عمليات مستمرة فيها.

٣ ـ لا ثنائية بين العقل والبدن، وأن النظرة العضوية، إلى الحياة نظرة صادقة.

٤ ـ ثقافة الإنسان الدينية ليست إلا نتاج التطور التدريجي الناشئ من التفاعل بين الإنسان والبيئة الطبيعية والوراثة الاجتماعية.

٥ ـ لقد ولى الزمن الذي كان الناس يعتقدون فيه بالدين وبالله.

٦ ـ يتركب الدين من الأفعال والتجارب والأهداف التي لها دلالات في نظر الإنسان، ومن هنا زال التمييز بين المقدس والمادي.

٧ ـ أن التحقيق التام للشخصية الإنسانية هدف الإنسان.

٨ ـ يعبر عن الانفعالات الدينية بالاحساسات الشخصية والجهود الجماعية التي تحقق الرفاهية الاجتماعية.

٩ ـ لا توجد ـ إذن ـ انفعالات دينية ومواقف للناس تربطهم بوجود خارق للطبيعة.[٢٨]

---

٢٦ ـ د. أبو اليزيد العجمي: نظرات في المعرفة الإنسانية ص ١٠٨.

٢٧ ـ د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة ص ١٩٢.

٢٨ ـ محمود زيدان: وليم جيمس ص ٢٠٤، ٢٠٥.

ومن هنا يتبين لنا أن البراجماتية بمبادئها تلك والتي تعمل على تطبيقها في جوانب التربية والدين والأخلاق تعد من العوامل الأساسية في انهيار المجتمعات التي تطبق فيها، سواء كان ذلك في الغرب أو في الشرق.

وخير شاهد على ذلك زيادة عدد المدمنين للمواد المخدرة، وعدد المصابين بالإيدز وعدد الجانحين والمجرمين في المجتمعات الغربية، هذا هو ما انتهت إليه المجتمعات البراجماتية والنفعية، فما موقف الإسلام من هذه النفعية؟

هـ- موقف الإسلام من النفعية:

إذا كانت الفلسفة الغربية، قد حاولت معالجة مشكلات البيئة والإنسان في الغرب ورسمت لذلك خططا للفكر والسلوك فقد عالجت ذلك بأسلوب بعيد عن أنوار الوحي وحقائق التنزيل؛ ولذلك أتت في هذا الجانب بنظريات ومذاهب وحلول مستوحاة من عوامل البيئة هناك، كلها تخبط واضطراب، ثم أخذ الغرب يخدع أمم الشرق بكلمات خادعة وعناوين براقة لا تنطلي إلى على الأغرار والسذج من الناس، مثل القول بالحرية والمنفعة والواقعية وغير ذلك.

والبراجماتية من المذاهب التي اتخذت لها راية تلوح بها لتوقع الناس في شركها وهو القول بالنفعية أو الحرص على مصلحة الإنسان، وتلك غاية، تهفو إليها نفوس كثيرة، ولكن أي مصلحة تلك التي تنادي بها البراجماتية؟

لقد سبق أن رأينا أن البراجماتية فوق أنها تجحد الألوهية والرسالة فهي تجعل النفع المادي والعاجل أساس تقويم أي فكرة أو عمل، وتسوق الإنسان إلى أن يجعل مصلحته فوق مصالح الآخرين حتى لو أضر ذلك بهم، أي أنه وحده وليكن بعده الطوفان، ومما لا شك فيه أن مثل هذا السلوك لا يتناسب حتى مع عالم الحيوان.

أما الإسلام فقد جاء لخير الناس، كل الناس، ومصالح كل الناس، ونفع كل الناس، وهو خير لا شر فيه، ومصالح لا جور فيها، ونفع يسوده الإيثار والمحبة، وهو خير طاهر الوسيلة والغاية. وما كان ذلك كذلك إلا لأن الإنسان في التصور الإسلامي صاحب مكانة رفيعة وأهمية خاصة لا تتحق لكائن غيره باستثناء

الملائكة، فالإنسان هو أفضل المخلوقات وأشرفها وأعلاها منزلة وأكرمها، ولهذا سخر الله تعالى له كل ما في الكون من جمادات ومعادن ونبات وحيوان لكي ينتفع بها، ويعمر الأرض بواسطتها ويكون خليفة لله عز وجل.

وهذه حقيقة لا تنكر، وأمر "لا ينبغي أن يعرض فيه بين أهل العقول شك ولا تتازع ولا مرية ولا تدافع، لمشاهدة الجميع إياه، ومعاينة الجمهور له، واتفاق العقلاء عليه"[٢٩] كما يقول الماوردي.

ولقد ثبت بالاستقراء أن الشريعة الإسلامية قائمة على العدل والرحمة ومصلحة الإنسان ونفعه؛ وهذا يعني أن كل ما يضر الإنسان فهي ضده، ولقد أفاض مفكرو الإسلام وعلماؤه في إيضاح هذه الحقيقة وبيانها بما لا يدع مجالا للشك فيها.[٣٠]

يقول الشاطبي: "إن أحكام الشريعة ما شرعت إلا لمصالح الناس وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله.[٣١]

ويقول ابن القيم: "إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه".[٣٢]

كما يقول ابن القيم في موضع آخر ـ عن الشريعة الإسلامية: "إن مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ومصالح كلها، ورحمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه".[٣٣]

ويقول العز بن عبد السلام: "إن الشريعة كلها مصالح، إما درء مفاسد أو جلب مصالح".[٣٤]

---

٢٩ ـ أبو الحسن الماوردي: نصيحة الملوك ص ٧١.

٣٠ ـ د. محفوظ عزام: حق الإنسان على الإنسان في ضوء الإسلام ص ٢١.

٣١ ـ الشاطبي: الموافقات ج ٢ ص ٦.

٣٢ ـ ابن القيم: الطرق الحكمية ص ١٤.

٣٣ ـ ابن القيم: إعلام الموقعين ج ٣ ص ١.

٣٤ ـ العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام ج ١ ص٩.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها".(٣٥)

كما يقرر علماء الأصول أن الأحكام التكليفية في الشريعة، ترتبط بالمصلحة الإنسانية ارتباطا وثيقا، وتختلف مراتب التكليف نفسها باختلاف ما فيها من مصالح وأضرار، فالأمر الذي تكون المصلحة فيه متيقنة يكون طلبه حتميا، ثم يتفاوت الطلب بين الوجوب والندب والإباحة تبعا لتفاوت المصلحة فيه. كذلك ما يكون الضرر فيه مؤكدا يكون حراما، ثم يختلف التحريم قوة وضعفا باختلاف قوة الضرر، ومن ثم كان المحرم والمكروه متفاوتا أيضا، فهناك المكروه تحريما والمكروه تنزيها، وهكذا.

يقول أبو حامد الغزالي: "إن جلب المنفعة ودفع المضار مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛ فكل ما يضمن هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذ الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة؛ وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح".(٣٦)

فمقصود الشريعة الإسلامية وغايتها المحافظة على المقاصد الخمسة للإنسان أو الضرورات الخمس وهي:

١ ـ الدين. ٢ ـ النفس. ٣ ـ العقل. ٤ ـ العرض والنسل. ٥ ـ المال.

وأي اعتداء على هذه المقاصد أو الضرورات تحرّمه الشريعة الإسلامية، وتمنعه؛ ومن هنا فقد أوجبت عقوبات وزواجر لكل من يعتدي على حق من هذه الحقوق من أجل الحفاظ عليها.

فالدين شرع لإقامته العبادات، وشرع لحفظه الجهاد، وعقوبة المرتد، والحجر على المفتي الماجن، وزجر من يفسد على الناس عقيدتهم.

---

٣٥ ـ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٤٧.

٣٦ ـ أبو حامد الغزالي: المستصفي ص ٥.

والنفس شرع لإيجادها النكاح، وشرع لحفظها القصاص على من يعتدى عليها وتحريم إلقاء النفس في التهلكة، ولزوم دفع الضرر عنها.

والعقل شرع لحفظه تحريم الخمر وعقوبة شاربها، والنسل شرع لإيجاده الزواج وشرع لحفظه عقوبة الزنا والقذف وحرمة إجهاض المرأة إلا لضرورة وفي عقوبة الزنا والقذف حفظ الأعراض أيضا. والمال شرع لتحصيله أنواع المعاملات من بيع وشراء وشركة ونحو ذلك. وشرع لحفظه حرمة أكل الناس مال الناس بالباطل أو إتلافه، والحجر على السفيه وتحريم الربا وعقوبة السرقة.

ومن هنا يتضح سمو الشريعة الإسلامية، في نظرتها إلى الإنسان واحترامها له، ومحافظتها على حقوقه، وحرصها على منفعته ومصلحته.[٣٧]

وإذا كان الإسلام قد جاء لخير الناس ونفعهم فإنه في الوقت نفسه قد طلب أن يشيع هذا الخير بين الجميع، وألا يتحرك المسلم من منطلق مادي (خذ وهات). بل طلب الإسلام أن يتحلى كل مسلم بالايثار وبروح التعاون وبذل الفضل.

لقد حرص الإسلام على دفع أتباعه إلى صنائع المعروف وعمل الخير ابتغاء وجه الله الذي لا تضيع عنده الصنائع **{وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون}**[٣٨] **{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما}**.[٣٩]

{فاستبقوا الخيرات}.[٤٠] **{وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون}**.[٤١]

{ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا}.[٤٢] **{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم}**.[٤٣]

---

٣٧ ـ د. محفوظ عزام: حق الإنسان على الإنسان ص ٢٢، ٢٣.

٣٨ ـ سورة الشورى: ٣٦.
٣٩ ـ سورة النساء: ١١٤.
٤٠ ـ سورة البقرة: ١٤٨.
٤١ ـ سورة البقرة: ٢٧٢.
٤٢ ـ سورة الإنسان: ٨، ٩.
٤٣ ـ سورة آل عمران: ٩٢.

ولقد جاهد الأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم لإشاعة الخير والإيمان في جنبات الأرض دون انتظار عون من أحد، إلا من الله وحده، وأسمع كل واحد منهم قومه هذه العبارة: **{ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين}**.(٤٤)

وجاء محمد - صلى الله عليه وسلم - ليؤكد هذه المعاني في دنيا الناس بقوله: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».(٤٥) «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق».(٤٦) «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».(٤٧) **«... وتعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها وترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، تميط الأذى عن الطريق صدقة»**.(٤٨)

"بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له".(٤٩)

«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثري من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له.. قالوا: يا رسول الله: إن لنا في البهائم أجرا؟.. فقال: في كل كبد رطبة أجر».(٥٠)

وهكذا يتعلم المسلم من دينه تقديم النفع للآخرين ابتغاء ما عند الله، بعيدا عن سياسة تبادل المنافع، ومن هنا تسود المحبة والأخوة بين الناس. ولم يتخذ الإسلام مثل هذه الأخلاق تدبيرا من تدابير السياسة أو حيلة يلجأ إليها الناس عند الحاجة ويتخلون عنها عند الطاقة والمقدرة، كلا، لقد أمر الإسلام أن يكون ذلك

---

٤٤ - سورة الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

٤٥ - صحيح مسلم الحديث ٢٦٢٦.

٤٦ - صحيح مسلم، الحديث ١٧٢٨.

٤٧ - رواه الحاكم عن أنس والطبراني في الأوسط عن أم سلمة، انظر الجامع الكبير ج ١ ص ٥٦٠.

٤٨ - البخاري ٢/ ١١٦، مسلم، ٤/ ٢٠٢١ برقم ١٩١٤.

٤٩ - البخاري ٢/ ١١٦، ومسلم، ١٠٠٩، ١٠٠٧.

٥٠ - البخاري ٥/ ٣١، ٣٢ ومسلم ٢٢٤٤.

خلقا ملزما في الوسائل والغايات، فلا يجوز الوصول إلى غاية شريفة بوسائل خسيسة، ولا مكان في تعاليم الإسلام للمبدأ الخبيث الذي تقول به "البراجماتية" وهو أن "الغاية تبرر الوسيلة"، فالمشروعية للوسيلة ضرورية كضرورة الغاية الشريفة، ولا يجب تبريرها مهما تكن الظروف والأسباب والأحوال.

يقول سبحانه وتعالى: **{والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق}**.(٥١)

فقد كان المؤمنون في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعة أصناف:

١ ـ المهاجرون الأولون. ٢ ـ الأنصار. ٣ ـ الذين لم يهاجروا. ٤ ـ الذين هاجروا بعد صلح الحديبية.

والآية التي ذكرناها خاصة بالصنف الثالث وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، فالآية توجب على المسلمين نصرتهم إذا ظلموا قياما بحق الأخوة الإيمانية، لكن إذا كانت هذه النصرة تؤدي إلى الإخلال بعهد من العهود المبرمة بين المسلمين والكفار لم تجز النصرة. لأن وسيلتها هي الخيانة ونقض العهد "والله لا يحب الخائنين".

وعندما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة قال له البعض: أنؤمن لك ويكون لنا الأمر من بعدك؟ ومع أنه كان يمكن نظراً لشرف الغاية ونبل المقصد أن يوافقهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يدخلوا في الإسلام فتتبدد كل هذه الأحلام، إلا أن الرسول الكريم رفض هذا المسلك وقال: "الأمر لله يضعه حيث يشاء" حتى تكون جميع الأمور وسيلة وغاية واضحة. وهذا هو القرآن الكريم يطلب من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في

---

٥١ ـ سورة الأنفال: ٧٢.

صراحة خالدة {**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**}. فهو ينفي كل أسباب الخداع في الدعوة إلى دينه حتى تكون الوسيلة والغاية شريفتين.

ومن هنا يتضح لنا علو شأن الإسلام في حرصه على النفع بكل صوره ولكافة الناس في كل زمان ومكان، وقصور المذهب النفعي الذي يقوم على الأنانية الفردية ويتخذ كافة الوسائل للوصول إلى غاياته وربما تكون الغايات والوسائل غير شريفتين.

هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

